المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

أثر تعزيز تعظيم الله تعالى في العصمة من الإلحاد
(رؤية قرآنية)

اسم الباحث

د/ سعيد عمر بن دحباج

د. سعيد عمر بن دحباج

أثر تعزيز تعظيم الله تعالى في العصمة من الإلحاد

(رؤية قرآنية)

ملخص البحث

يتجّه هذا البحث إلىٰ تفسير شيوع ظاهرة الإلحاد في الفترات المتأخرة، وبيان علاقة ذلك بضعف أو انعدام استشعار تعظيم الله في النفوس، وتهدف هذه الدراسة البحثية إلىٰ الآتي:

١- تقرير أن تعزيز تعظيم الله في القلوب عاصم من الإلحاد والكفر.

٢- تقديم تفسير لشيوع موجات الإلحاد، والخروج من الملة، وأن مرد ذلك إلىٰ ضعف أو انعدام تعظيم الله - تعالىٰ - في القلوب.

٣- الوقوف علىٰ المعالم القرآنية العاصمة من الإلحاد، والمعززة لتعظيم الله – تعالىٰ – في القلوب.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة كالآتي:

المقدمة: وتتضمن بيان أهمية موضوع البحث، وذكر أهدافه، والمنهجية البحثية التي سيسلكها الباحث في بحثه، وعرض هيكلة البحث وتقسيمه.

التمهيد: ويتضمن التعريف بتعظيم الله تعالىٰ، وموقعه من الطرح القرآني، وبيان المراد من الإلحاد لغة واصطلاحًا.

المبحث الأول: أسباب ضعف تعظيم الله تعالىٰ في النفوس وأثره في شيوع الإلحاد والخروج من الملة.

المبحث الثاني: معالم قرآنية لتعزيز تعظيم الله تعالىٰ تعصم من الوقوع في الإلحاد.

خاتمة البحث: وتتضمن: نتائج البحث وتوصياته .

منهج الدِّراسة:

عمد الباحث إلىٰ توظيف منهج الدراسة الموضوعية في كتاب الله لمعالجة الظاهرة المشار إليها، ومنهجية الاستقراء والتحليل لتبين المعالم القرآنية في تعظيم الله التي تعصم من الانجرار إلىٰ هاوية الإلحاد .

قدم البحث رؤية قرآنية مؤصلة للتصدي لظاهرة الإلحاد المعاصر، وتزويد القائمين علىٰ الشأن الإرشادي والتربوي والدعوي والتثقيفي في المجتمعات المسلمة بمعالم قرآنية راشدة في تعظيم الله للوقاية من استشراء ظاهرة الإلحاد وتمددها والحد منها .

د. سعيد عمر بن دحباج

أستاذ التفسير وعلوم القرآن (المشارك)

المقدمة

الحمد لله المتفرد بالخلق والملكوت، ذي العزة والعظمة والجبروت، سبحانه الحي القيوم الذي لا يموت، والصلاة والسلام علىٰ نبيه وحبيبه ومصطفاه القائل فيما يرويه عن ربه: «وإني خلقت عبادي حنفاء كلُهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»،،

أمَّا بعد؛ فإن الثبات علىٰ دين الله وتوحيده من أعظم المطالب، وإن أعظم أمنية يرجوها المسلم من ربه أن يميته علىٰ دينه موحدًا مقرًا له بالعبودية، ولقد فشت في هذه الأزمنة المتأخرة فاشية الإلحاد في أوساط المسلمين، ولو أن الأمر كان مجرد حالات فردية هنا وهناك لهان الخطب، ولما استدعت الحاجة إثارته ودراسته ولكن الإلحاد -وللأسف- يسري في الأوساط كسريان النار في الهشيم، وما ذلك إلا لضعف واضمحلال تعظيم الله في القلوب وخوائها من محبته وجلاله، ولأن الأمر كذلك ارتأيت أن أضع هذا البحث الذي يتجه لكشف العلاقة بين استشراء الإلحاد في أوساط المجتمعات المسلمة وضعف معالم وحقائق الربانية وأهمها تعظيم الله في النفوس، ثم تطلب الرؤية القرآنية لتعزيز تعظيم الله في القلوب لتتحقق وتصل إلىٰ منزلة الصديقية والربانية التي يُعظِّم الواصل إليهما ربه ويلوذ بجنابه فلا يتنكر له ويجحده، والله المؤمل أن يسهم هذا البحث في سد هذه الثغرة ومعالجة هذا الداء إنه خير مسؤول ومأمول.

أهمية الموضوع:

لا يغيب عن أحد موجة الإلحاد التي بدأت تأخذ شكل ظاهرة تتنامىٰ هنا وهناك في بقاع شتىٰ من بلاد المسلمين، وإن بنسب متفاوتة من بلد لآخر، ويأتي هذا البحث في سياق وضع مسالك للعلاج وحلول للمشكل المعضل؛ إذ إن حماية جناب المعتقد وصيانة الإيمان له حق التقدمة والاهتمام من بين سائر الاهتمامات والأعمال، خاصة إذا كانت الرؤية العلاجية مستمدة من كلام الله ووحيه (القرآن الكريم) كيف لا وهو مصدر الهداية وينبوعها ومعينها؟

أهداف الدراسة:

١- تقرير أن تعزيز تعظيم الله في القلوب عاصم من الإلحاد والكفر.
٢- تقديم تفسير لشيوع موجات الإلحاد، والخروج من الملة، وأن مرد ذلك إلىٰ ضعف أو انعدام تعظيم الله في القلوب.

٣- الوقوف علىٰ المعالم القرآنية العاصمة من الإلحاد، والمعززة لتعظيم الله في القلوب.

المنهجية البحثية:

عمد الباحث إلىٰ توظيف منهج الدراسة الموضوعية في كتاب الله لمعالجة الظاهرة المشار إليها، ومنهجية الاستقراء، والتحليل لتبين المعالم القرآنية في تعظيم الله التي تعصم من الانجراف إلىٰ هاوية الإلحاد .

وقد جاءت الدراسة في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة كالآتي:

المقدمة: وتتضمن بيان أهمية موضوع البحث، وذكر أهدافه، والمنهجية البحثية التي سيسلكها الباحث في بحثه، وعرض هيكلة البحث وتقسيمه.

التمهيد: ويتضمن التعريف بكل من: تعظيم الله تعالىٰ، والإلحاد لغة واصطلاحا.

المبحث الأول: أسباب ضعف تعظيم الله في النفوس وأثره في الإلحاد والخروج من الملة.

المبحث الثاني: معالم قرآنية لتعزيز تعظيم الله تعصم من الوقوع في الإلحاد.

خاتمة البحث: وتتضمن نتائج البحث وتوصياته

التمهيد

ما المراد بتعظيم الله؟

التعظيم لغةً: مَصْدَرُ عَظَّمَ، يُقَال: عَظَّمَهُ تَعْظِيمًا أَيْ: كَبَّرَهُ وَفَخَّمَهُ. وَالتَّعْظِيمُ يَكُونُ بِاعْتِبَارِ الْوَصْفِ وَالْكَيْفِيَّةِ، وَيُقَابِلُهُ التَّحْقِيرُ فِيهِمَا بِحَسَبِ الْمَنْزِلَةِ وَالرُّتْبَةِ، والعظيم: الله عز وجل وهو من صفاته التي يستحقها في الأزل، تقول: لم يزل الله عز وجل عظيمًا.

تعظيم الله اصطلاحًا:

عرف بعضهم التعظيم بقوله: «هو معرفة عظمة الرب، وتعظيمه وإجلاله مع التذلل له، وعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالىٰ في القلب، وأعرف الناس به أشدهم تعظيمًا له وإجلالًا، ومحبة وطاعة وعبادة».

كما قسم التعظيم إلىٰ ثلاث درجات:

الأولىٰ: تعظيم الأمر والنهي .

الثانية: تعظيم الحكم الكوني القدري.

الثالثة: تعظيم الرب سبحانه.

والتعظيم بمعنىٰ التوقير، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح]، قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة، وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته، وقال الكلبي: لا تخافون لله عظمة، وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «و الرجاء بمعنىٰ الخوف والوقار العظمة اسم من التوقير وهو التعظيم، وقال الحسن: لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة، وقال ابن كيسان: لا ترجون في عبادة الله أن يثيبكم علىٰ توقيركم إياه خيرا».

ثانيا – الإلحاد لغة واصطلاحًا:

الإلحاد لغةً: الميل، ولذا سمي لحد القبر لحدًا لميله عن وسطه إلىٰ أحد جوانبه.

وبالنسبة للمعاجم الحديثة فقد استعملت كلمة إلحاد، وفسرتها بأنها الكفر، ويطلقه الكثيرون علىٰ من أنكروا وجود رب خالق لهذا الكون، متصرف فيه، يدبر أمره بعلمه وحكمته، ويجري أحداثه بإرادته وقدرته، واعتبار الكون أو مادته الأولىٰ أزلية، واعتبار تغيراته قد تمت بالمصادفة، أو بمقتضىٰ طبيعة المادة وقوانينها.

الإلحاد اصطلاحًا: إذا كان الإلحاد في اللغة هو الميل فإنه اصطلاحًا يعني: الميل عما يجب اعتقاده أو عمله، وعرفه بعضهم فقال: «الإلحاد الميل عن طريق الإسلام»، وقال آخر: هو «إنكار الألوهيَّة ورفض أدلّتها»، والتعريفات بينها من التقارب والحد المتفق عليه من المعنىٰ ما هو بين.

ويتوسع البعض في تضمين لفظ الإلحاد معاني ودلالات، فها هو صاحب المنار يقول: «فأنا أعني بالإلحاد في كل ما أرد به علىٰ الملاحدة المعنىٰ العام الذي يشمل الكفر المُخْرِج من الملة، وغير المُخْرِج منها وما ليس بكفر مما يضعف الإيمان، ويوهن روابط الإسلام اللغوية والاجتماعية، كالثقافة اللادينية التي كانت تدعو إليها جريدة السياسة وغيرها، وكثير مما يسميه جماعة الكتاب اللادينيين بالتجديد كأزياء الرجال والنساء الإفرنجية التي جعلها مصطفىٰ كمال باشا ومريده أمان الله خان من أركان الإصلاح لما يقصد بها من إنساء المسلمين جميع ماضيهم، ومن أركانها استبدال الحروف اللاتينية بالعربية وغير ذلك من الميل عن الوسط إلىٰ إفراط أو تفريط في الشئون الإسلامية ».

والمراد بالإلحاد هنا: ذلك المذهب الفلسفي الذي يقوم علىٰ فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالىٰ، فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت .

ثانيا- الإلحاد في لغة القرآن ومعهوده:

الإلحاد في القرآن يأتي بمعنىٰ الميل عن دين الله إلىٰ درجة الكفر، وقد فسر الإلحاد في (سورة الحجّ)، بأنه أيّ معصيةٍ في الحرم، وقد وردت عدة آيات بذكر الإلحاد منددة به منذرة بعاقبته: قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف]، قال ابن جرير الطّبريّ- رَحِمَهُ اللَّهُ-: «كان إلحادهم أي المشركين في أسماء الله أنّهم عدلوا بها عمّا هي عليه فسمّوا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا ونقصوا منها، فسمّوا بعضها اللّات اشتقاقا منهم لها من اسم الله الّذي هو الله، وسمّوا بعضها العزّىٰ اشتقاقا لها من اسم الله العزيز»، فمعنىٰ الميل في صنيعهم بأسماء الله واضح بين ولذا أطلق عليه مسمىٰ الإلحاد.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول الله تعالىٰ ذكره مكذّبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون، إن لسان الذي تلحدون إليه: يقول: تميلون إليه بأنه يعلم محمدا أعجمي»، وقال السمعاني: «والإلحاد: الْميل، والملحد هُوَ الَّذِي مَال عَن الْحق إِلَىٰ التعطيل؛ فَقَوله: ﴿يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾ أَي: يميلون إِلَيْهِ».

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فُصِّلَت: ٤٠].

المبحثُ الأولُ: أسبابُ ضعفِ تعظيمِ اللهِ في النفوسِ

وأثرُهُ في الإلحادِ والخروجِ من الملةِ

إن النفس البشرية لا تصل إلىٰ شأو بعيد من الصلاح الباطن والظاهر، وتتحقق به بين عشية وضحاها بل تحتاج بطبعها إلىٰ أن تتدرج وترتقىٰ في سلم الحق والتمكن في الاتصاف بالخيرية وتلزمها، وقل مثل ذلك في العكس، فإن الانسلاخ عن الهدىٰ والتفلت من قيم الخيرية والانجرار وراء داعي الشيطان وغروره وتزيينه والوصول في خاتمة المطاف إلىٰ هاوية الإلحاد والجحود والتنكر لله ودينه -والعياذ بالله- كل ذلك لم يكن ليتم إلا بخطواتٍ، كلُّ خطوة تُسْلِمُ إلىٰ أختها، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة]، وإن الوصول إلىٰ هاوية الإلحاد والجحود ليس إلا الثمرة المرة والنتيجة الحتمية لتضاؤل تعظيم الله في النفس.

ولقد تصاعدت موجات الإلحاد في الفترات المتأخرة بشكل ملحوظ مما استدعىٰ اهتمام المصلحين والعلماء والدعاة النصحة لله ولدينه ولمجتمعاتهم.

وقبل أن نبدأ في هذا المبحث بدراسة أسباب ضعف تعظيم الله في النفوس وأثره في الإلحاد فإننا نريد أن نقف أولا مع واقع ما تمر به المجتمعات المسلمة من موجات متصاعدة للإلحاد بين أبنائها في الفترات المتأخرة فإن في ذلك تنبيهًا لمكمن الداء وإنذارًا بالخطر، وتمهيدًا لا بد منه بين يدي ذكر المعالم القرآنية التي جاءت لتقرير وتعزيز تعظيم الله في النفوس بما يشكل عصمة لمن تمسك بها من الإلحاد والمروق من الديانة.

فُشُوُّ الإلحادِ وتصاعُدُ موجاتِه في الفترةِ المتأخرةِ:

لم تعرفِ الأرضُ انتشارًا للإلحادِ، ونفوذًا قويًّا لهُ، إلا في العصورِ المتأخرةِ، فقد كان يوجدُ من الملاحدة فئامٌ وأشتاتٌ، ولكنّهم قلائلُ، ولا يجمعهم مذهبٌ، أو يُقيّدهم فكرٌ، وإنّما بحسبِ ما يعنو للواحدِ منهم ويظهرُ، وقد كانوا يسمّونَ قديمًا بالدهريينَ، وحكىٰ الإمامُ الشهرستانيُّ في كتابهِ (الملل والنِحَل) أنّ الدهريينَ من كفّارِ مكّةَ وغيرها، كانوا أقلّ النّاس، وإنّما غلبَ علىٰ أهلِ مكّةَ وجزيرةِ العربِ الشركُ، وعبادةُ غيرِ اللهِ معهُ، مع إثباتِ أنّهُ الخالقُ وحدهُ، خلافًا للمانويّةِ الذين يُثبتونَ خالقينِ أحدهما النورُ وهو خالقُ الخيرِ، والآخرُ الظلامُ وهو خالقُ الشرِّ.

ويرىٰ البعض أن الإلحاد بدأ في القرن السابع قبل الميلاد علىٰ يد الفيلسوف اليوناني "طاليس"، وتقبل رأيه طائفة من فلاسفة اليونان ثم تطورت الآراء حتىٰ جاء زمان أصبح الدليل فيه حاجة من حاجات العقول، فوجد الإلحاد مجالًا للظهور باعتبار أنه رأي علمي له حق المثول بين الآراء المتباينة، ولم يكد يعطىٰ هذا الحق، حتىٰ نزع إلىٰ الإعلان عن نفسه بأنه الرأي الوحيد الذي يوفي بحاجات العقول؛ إذ يستند إلىٰ العلوم اليقينية القائمة علىٰ المشاهدة والتجربة، وأما ما عداه، فأساسه الهوىٰ والخيال، ثم نشبت بين الإلحاد والدين من القرن السادس عشر معركة فاصلة لا تزال رحاها دائرة.

الإلحاد في أوربا:

يذكر أن أوّلَ كتابٍ مُصرّحٍ بالإلحادِ، وداعٍ لهُ، ظهرَ في أوروبا في سنةِ ١٧٧٠م، وهذه الفترةُ الحرجةُ هي الفترةُ التي بدأتْ فيها الشعوبُ الأوربيّةُ تضجُّ من حكمِ الكنيسةِ، وتدعو للثورةِ عليهِ، وقد تبنّىٰ الفكرَ الإلحاديَّ في أوروبا كبارُ الفلاسفةِ والمؤرخينَ، من أمثال : نيتشة، وفولتير، وكارل ماركس، وإنجلز، وراسل، وكونت، وغيرهم من كِبارِ الفلاسفةِ وعلماءِ الاجتماعِ والتأريخِ ، ممّا حدا النّاسَ إلىٰ الوثوقِ بهم، والتحوّلِ إلىٰ آرائهم.

مع ظهورِ بوادرِ الإلحادِ، نشأتْ العديدُ من المدارسِ والمذاهبِ الفكريّةِ والاجتماعيّةِ، والتي تصُبُّ في مصبِّ الإلحادِ، وتستلهمُ منهُ مادّتها، وترسّخُ مبادئهُ، ومن أشهرِ تلكَ المذاهبِ والمدارسِ :العلمانيّة، والوجوديّة، والشيوعية، والوضعية، والداروينية.

في دراسة (الإلحاد أكثر انتشارا) التي قام بها موقع sasapost تبين أن نسبة الملحدين في الولايات المتحدة الأمريكية بلغت ٨ , ٢٢٪ وهذه النسبة تفوق عدد المسلمين والبوذيين في أمريكا، كما أفادت الدراسة أن نسبة المتدينين في الصين بلغت ٧٪ فقط من مجموع السكان وهي أعلىٰ نسبة إلحاد في العالم ثم تليها اليابان وأستونيا والسويد وغيرها.

الأفكار والمعتقدات:

يمكن تلخيص معتقدات المذهب الإلحادي في الآتي:

- إنكار وجود الله سبحانه، الخالق البارئ، المصور، تعالىٰ الله عما يقولون علوًا كبيرًا.
- إن الكون والإنسان والحيوان والنبات وجد صدفة وسينتهي كما بدأ ولا توجد حياة بعد الموت.

- أن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.
- النظرة الغائية للكون والمفاهيم الأخلاقية تعيق تقدم العلم.
- إنكار معجزات الأنبياء لأن تلك المعجزات لا يقبلها العلم، كما يزعمون.
- عدم الاعتراف بالمفاهيم الأخلاقية ولا بالحق والعدل ولا بالأهداف السامية، ولا بالروح والجمال.
- المعرفة الدينية، في رأي الملاحدة، تختلف اختلافًا جذريًا وكليًا عن المعرفة بمعناها العقلي أو العلمي.
- الإنسان مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة التي اكتشفتها العلوم كما تنطبق علىٰ غيره من الأشياء المادية.
- الحاجات هي التي تحدد الأفكار، وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات.
- نظريات ماركس في الاقتصاد والتفسير المادي للتاريخ، ونظرية فرويد في علم النفس، ونظرية دارون في أصل الأنواع، ونظرية دوركهايم في علم الاجتماع من أهم أسس الإلحاد في العالم .

من أهم أسباب شيوع الإلحاد في أوربا:

١- المواقف المُتسلّطة للكنيسةِ، فكان الإلحاد ردة فعل لذلك التسلط ومسلكًا للفكاك منه.

٢- ظهورِ مجموعةِ من التناقضاتِ بينَ الدينِ النصرانيِّ المُحرّفِ، وبينَ بعض المُخترعاتِ والمُكتشفاتِ العلميّةِ.

ومن المؤسفِ حقًّا، أنّ الإلحادَ حينما صبغَ الحياةَ العامّةَ في أوروبا، أصبحَ أمرُ التديّن ، والتمسّكِ بدين ، أو الإيمان بالخالق، شيئًا غريبًا، وظاهرةً تدعو إلىٰ العجبِ!، بعد أن كانتَ هي السائدةُ علىٰ نظامِ الحياةِ، ومؤسساتِ الحُكمِ ، وإن كانَ ثمَّ شيءٌ يدعو إلىٰ التعجّبِ والاستغرابِ، فهو انتشارُ الإلحادِ في تلكَ الفترةِ، وانحسارُ الإيمانِ باللهِ، وتعلّقُ الناسِ بالمادّةِ والطبيعةِ، ووصفهم للدينِ بأنّهُ تخلّفٌ ورجعيّةٌ.

الإلحاد في العالم العربي والإسلامي :

تشهد رقعة واسعة من بلاد العالم الإسلامي في الفترة المتأخرة موجات إلحاد ونكوص عن الإيمان وردة عنه، وهذه الحال تذكرنا بما مرت به أوربا في القرن الثامن عشر من قطيعة بين العلم والدين أعقبها موجة إلحاد عارمة، وإن كان الأمر قد آل بعدها في أوربا إلىٰ نوع تصالح بين العلم والدين (الكنيسة).

وبالنسبة لحركاتِ الإلحادِ المنظّمةِ في العالمِ العربيِّ، والمُجاهرة بهِ، وإعلانُه علىٰ الملأ، فإنه يمكن القول بأنه نشأ بعدَ منتصفِ القرنِ التاسعَ عشرَ، وذلك حينما بدأ العالمُ الإسلاميُّ والعربيُّ، يتّصلُ بالعالمِ الغربيِّ، عن طريقِ إرسالياتِ الدراسةِ، أو التدريبِ، وتسبّبَ ذلكَ في رجوعِ مجموعةٍ من الطلاّبِ متأثّرينَ بالفكرِ الأوربيِّ الماديِّ، والذي كانَ يقومُ علىٰ أساسِ تعظيمِ علومِ الطبيعةِ، ورفعِ شأنِ العقلِ، وكذلكَ تنحية الدينِ والشرعِ، عن حكمِ الحياةِ والناسِ وإدارةِ شئونهم.

في بدايةِ الأمرِ لم يكن ثمَّ دعوةٌ صريحةٌ للإلحادِ أو الرّدةِ، وإنّما كانتْ هناكَ دعواتٌ للتحرّرِ، أو التغريبِ، أو فتحِ المجالِ أمامَ العقلِ، ومُحاكمةِ بعضِ النصوصِ الشرعيّةِ إلىٰ العقلِ أو الحسِّ والواقعِ، ومحاولةِ إنشاءِ خلافٍ وهميٍّ، وصراعٍ مُفتعلٍ، بينَ العقلِ والشرعِ، ومع مرورِ الوقتِ، وزيادةِ الاتصالِ بالغربِ وتراثِهِ، وانتشارِ موجةِ التغريبِ بينَ الناسِ، ظهرتْ بعضُ الدعواتِ الصريحةِ للإلحادِ وفتحِ بابِ الرّدةِ، باسمِ الحريّةِ الفرديّةِ.

يقول محمد الخضر حسين: «كان الإلحاد في العصور الماضية لا يتجاوز نفرًا قليلًا يعرفهم الناس في لحن أقوالهم، وبانهماكهم في الفجور، وقضاء أوقاتهم في المجون، أما اليوم، فقد ظهر الإلحاد، ورفع رأسه، وتجاوز المجالس الخاصة إلىٰ الصحف والمؤلفات».

لقد نشط اليهود في تركيا وسعوا لإلغاء الخلافة ولنشر الإلحاد والانسلاخ عن الدين، وتحقَّقَ لهم ما أرادوا بنسبة كبيرة علىٰ يد مصطفىٰ كمال أتاتورك وحزبه، وقد زامن هذه الجرأة في تركيا جرأة أخرىٰ مماثلة في مصر وإن كانت سميت كذبا وزورا (عصر النهضة الأدبية والفكرية) وهي في الحقيقة حركة تغريبية تهدف إلىٰ إلحاق مصر بالغرب وانسلاخها من دينها؛ حيث ظهر في تلك الفترة العديدُ من المفكّرينَ والأدباءِ، يدعونَ إلىٰ التغريبِ والإلحادِ، وفتحِ بابِ الرّدةِ، باسم التنويرِ تارةً، وباسم النهضةِ الأدبيّةِ تارةً أخرىٰ، ومرّةً باسم الحرّياتِ الفكريّةِ.

وبما أنّ مصرَ هي رئةُ العالمِ في ذلكَ الوقتِ، فقد انتقلتْ حمّىٰ الردةِ والإلحادِ، إلىٰ جميعِ دولِ الجوارِ، ابتداءً من الشامِ، ومرورًا بالعراقِ، والخليجِ بما فيها السعوديةُ، وانتهاءً ببلادِ اليمن.

في سلسلة (قصة الله) التي قدمها (موجان فريمان) عن تاريخ الأديان، خلصت الدراسة إلىٰ أن الأكثر انتشارا في العالم من بين المعتقدات هو الإلحاد، كما أشارت الدراسة إلىٰ أن الجيل الجديد أكثر من يرفض (الله)، والمراد بالجيل الجديد هو الذي ولد بعد ١٩٨١م.

ويذكر أحمد نور في مقالته علىٰ الشبكة العنكبوتية أن دار الإفتاء المصرية في يناير ٢٠١٤م أفادت أن عدد الملحدين في مصر قد بلغ ٨٦١ في حين يقدر آخرون العدد بالآلاف، وبحسب إحصائية مؤسسة (وين غالوب) الدولية للأبحاث في نفس العام فقد بلغت نسبة الإلحاد في المملكة العربية السعودية ٥-٧٪ وهي نسبة مرتفعة مقارنة بالدول التي تأخذ بالنهج العلماني منذ عقود مثل تونس ولبنان.

وبتتبع صفحات متبني الإلحاد والداعين إليه هنا وهناك علىٰ وسائل التواصل الاجتماعي نجد إقبالا ومتابعات تستدعي الاهتمام:

صفحة (الملحدين التونسيين) بلغ عدد متابعيها ١٠٠٠٠ عشرة آلاف متابع.

صفحة (الملحدين السودانيين) بلغ عدد متابعيها ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف.

صفحة (الملحدين السوريين) بلغ عدد متابعيها أكثر من ٤٠٠٠ أربعة آلاف.

وفي حساب تويتر الإلحادي (أرب أثيست) بلغ عدد متابعيه ٨٠٠٠ ثمانية آلاف.

وفي هذا المبحث سوف نعرض لجملة من الأسباب المؤدية لإضعاف تعظيم الله في النفوس وأثر ذلك في الإلحاد والخروج من الملة:

١-حالة الانبهار بظهور هذه الماديات التي ظهرت علىٰ أيدي غير المؤمنين بالله تعالىٰ:

لقد أصاب التفوقُ العلمي المادي التكنولوجي لدىٰ الغرب قلوبَ ضعفاء الإيمان بانبهار تامّ برونق تلك الحضارة الزائفة الزائلة التي أخبر الله عنها، قال تعالىٰ: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الروم]، ولشيوع الانفكاك عن الدين عند أهل تلك الحضارة، ولتأصل ذلك الفصام النكد بين الدين والعلوم الدنيوية والتكنولوجية استقر لدىٰ فئام من أولئك المنبهرين أن أوروبا لم تصل إلىٰ هذا المستوىٰ من الرخاء والتقدم التكنولوجي والصناعي إلا بإلقاء الدين خلف ظهرها والإعراض عنه، وبالتنكر التام لخالق الكون ومدبره، وبذلك وصلت إلىٰ ما وصلت إليه، وانساق المنهزمون المغرمون بتلك الحضارة إلىٰ التصديق بأن لا وجود لأيّ مدبر للعالم غير العالم نفسه، خصوصًا وأن المغلوب دائمًا يقلد الغالب، ويحب أن يتظاهر بصفاته ليجبر النقص الذي يحس به أمامه.

إن هذا شبيه بما قصه الله من خبر المنبهرين بقارون الذي أنكر نعمة الله وفضله عليه، وقال عن المال الذي أوتيه مغرورا متنكرا لخالقه: ، قال تعالىٰ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]، فأخبر الله عن جماعة المنبهرين بقوله سبحانه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص]، إنه الانبهار بظاهر من الحياة وببعض عرضها الزائل الذي يؤتيه الله من يشاء من خلقه، ولكن مكمن الداء هو انحراف الإرادة والوجهة فبدلا من أن تكون ابتغاء رضوان الله والفوز بما عنده ينعكس الحال ويخاف علىٰ جماعة المنبهرين السقوط في هوة سحيقة؛ ولذا عاجلهم النصحاء أهل العلم من قومهم فقالوا لهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص].

ولأن الله تدراك الأولين برحمة من عنده وإلا لكانت عاقبتهم الخسف كما خسف بقارون وما معه، لاغتراه بدنياه وماله، ذلكم الاغترار الذي قاده إلىٰ الجحود والتنكر لله وفضله، ومنته عليه.

٢-صبغة المادية الطاغية علىٰ الحياة:

إن صبغة المادية الطاغية علىٰ الحياة في الفترات المتأخرة كانت علىٰ حساب القيم الإنسانية والحياة الروحية والمعنوية التي يبثها التدين في النفس الإنسانية، وقد تنبه لخطر هذا الحال كبار مفكري وفلاسفة الحضارة الغربية، يقول ألبرت أشفيستر: «نحن نعيش اليوم في ظل انهيار الحضارة وهذا الوضع ليس نتيجة الحرب إنما الحرب مجرد مظهر من مظاهره ولقد تجمد الجو الروحي في وقائع فعلية ينعكس أثرها عليه انعكاسا له نتائج مدمرة في كل ناحية.. لقد انحرفنا عن مجرىٰ الحضارة لأننا لم نقم بالتفكير الجدي في معنىٰ الحضارة »، ذلك أن حضور المادة بكثافتها وثقلها وضغطها علىٰ باطن الإنسان المعاصر قد أفرغته من رصيده الإنساني، وإنما الإيمان نفحة إلهية وروح تسري في الروح فإذا ما صبغت حياة المرء بالمادية الصرفة وملأت عليه ظاهره وباطنه لم تعد علاقته بخالقه ومولاه علىٰ حال الاستواء والصحة، ويستوي عنده بعدها الارتباط بخالقه ومولاه أو التنكر له؛ لأن معبوده علىٰ وجه الحقيقة إنما هو المادة والمادة فقط، فيسهم ذلك بشكل حاد في تهوين شأن الإلحاد والانسلاخ من الدين والتنكر لله بل إنكار وجوده.

ولذلك يكثر أن يقرن في كتاب الله بين الكفر وحب الدنيا والاغترار والتعلق بها وهيمنتها، وأنها سبب للبعد عن الله والانسلاخ عن دينه وهداه وربما آل الأمر إلىٰ الكفر والجحود والإلحاد

-والعياذ بالله-، قال تعالىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [البقرة]، فلكأن تزيين الحياة الدنيا لهؤلاء واغترارهم بها كان سببا في كفرهم بربهم، وقرن سبحانه في ذم قوم بين اتخاذ الدين لعبا ولهوا والاغترار بالحياة الدنيا، قال تعالىٰ: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنعام]، وقال أيضا: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٣١] وهنا نلاحظ أن الاغترار بالحياة الدنيا كان سببا في سوء العاقبة والمصير في الآخرة لأن ذلك قد قادهم إلىٰ تكذيب الرسل، وقال عز من قائل: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأعراف: ٥١]، والحياة الدنيا وغرورها قد أنستهم لقاء الله واليوم الآخر فكان الجزاء من جنس العمل ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾، قال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [يونس]، وموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يعلل لضلال هؤلاء وكفرهم بأنه ما أوتوه من الدنيا والأموال ولذلك دعا الله أن يطمس عليها، وقال: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النازعات]، وقال تعالىٰ: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النجم]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٢٨].

ولهذا يكثر في كتاب الله التحذير من الاغترار بالدنيا وأعراضها وزينتها ويرد كثيرا تنبيه القلوب لهذا المعنىٰ فلا تشتغل بها عن مراد الله منها وعن مولاها وآخرتها؛ ذلك أن الله جعل الدنيا معبرا للآخرة ودار ابتلاء وامتحان، ولا يفهمن من كلامنا هذا الدعوةُ لترك الدنيا وتطليقها ثلاثا كما هو حال الأفهام السقيمة بل المراد أن يقوم العبد بواجب الاستخلاف في الأرض الذي قلده الله إياه فيعمرها وفق مراد الله علىٰ بصيرة من الله ويصبغ حركته الدنيوية بالعبودية لله ولا يجعل الدنيا تملأ عليه قلبه ولبه بل يعطيها من الاهتمام بقدر، ويستمتع بطيباتها علىٰ الوجه المشروع والقدر المعقول كما قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف]، وقال تعالىٰ: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ

لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشورىٰ]، وقال تعالىٰ: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزُّخرُف].

٣-انخفاض منسوب الرَّبانية والروحانية وغلبة الطقوسية في أداء الشعائر التعبدية:

غلبت الطقوسية الترسمية الشكلية علىٰ مجاميع المتدينين والمجتمعات المسلمة بشكل ملحوظ دون أن يكون لها رصيدها من شهود الروحانية وحقائق الربانية وذائقة التعبد الحق لله تعظيما ومحبة، وقد أسهم ذلك – وللأسف – في إيجاد ردة فعل قاسية لدىٰ كثير من الناشئة والأجيال لأنهم لا يستشعرون لتدينهم وتعبدهم معنىٰ وقيمة وأثر حقيقيا ولا يرون ذلك أيضا في محيطهم ومجتمعهم.

إن أجيالا من ناشئة المجتمعات المسلمة تعيش حالة عطش روحي شديد، وهي رغم ممارستها للشعائر التعبدية لا تجد لها لذة العبادة في باطنها، ومع مرور الأيام يتولد لديها قناعة ألا فرق بين ممارستها لهذه القربات والتعبدات أو تركها؛ إذ الأثر مفقود والنتيجة واحدة فيقودهم يأسهم هذا إلىٰ التنصل من واجبات الدين وأحكامه شيئا فشيئا ثم التشكك في جدوىٰ التمسك بالدين من أصله ثم الانفكاك عنه والسقوط في سحيق هاوية الإلحاد.

وهذا يفسر لنا وقوع كثير ممن لهم سابقة تدين في شَرَكِ الإلحاد؛ لأنهم حينما مروا بجربة تدين افتقدوا فيها للسلام الداخلي والامتلاء الروحي وعاشوا فترة اضطراب في حياتهم الباطنة، فهم يقرؤون ويسمعون عن صفات عباد الله المخبتين الخاشعين المتبتلين الربانيين أهل القرب من الله ثم لا يشهدون هذه الخصال لا في أنفسهم ولا في من حولهم أو حتىٰ ممن يعايشونه ممن نصب نفسه للتوجيه والإرشاد والتربية.

وكثيرا ما نجد كتاب الله يقرر أن ضعف حقائق الربانية وقسوة القلوب وغفلتها تقود صاحبها إلىٰ الجحود والكفر، لتكون عاقبته جهنم وبئس المصير، يقول تعالىٰ مندا باليهود المحادين لله ودينه: ﴿قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [البقرة]، وقال عن قوم آخرين: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام]، وقال

تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس]، كما أخبر عن قوم سارعوا إلىٰ الكفر رغم أنهم قد تظاهروا بالإسلام وذلك لأن قلوبهم لما قد خلت أصلا من الإيمان والتحقق بمعاني الربانية هانت عليهم المسارعة إلىٰ الكفر، قال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ [المائدة: ٤١]، وأخبر سبحانه في موضع آخر أن مرض القلب وضعف ربانية تؤدي إلىٰ الموت علىٰ الكفر إن لم يتدارك الله صاحبه برحمة منه حيث قال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ۝١٢٥﴾ [التوبة] وفي موضع آخر يقرر أن فتنة الشيطان وشبهاته الصارفة عن الله وعن دينه إنما تؤثر في من ضعف تحققه بالإيمان وحقائق الربانية وتمكن المرض في قلبه، قال تعالىٰ: ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝٥٣﴾ [الحج].

٤-تفشي الفكر الخرافي وإلباسه لبوس الدين:

إن لفشوّ الخرافات وأضاليل الطرق بين الأمة أثرًا كبيرًا في فشو الإلحاد بين أبنائها المتعلمين تعلمًا عصريًا، الجاهلين بحقائق دينهم؛ لأنهم يحملون من الصِّغر فكرة أن هذه الأضاليل الطرقية هي الدين، وأن أهلها هم حملة الدين، فإذا تقدم بهم العلم والعقل لم يستسغها منهم علم ولا عقل، فأنكروها حقًا وعدلًا، وأنكروا معها الدين ظلمًا وجهلًا؟ وهذه إحدىٰ جنايات الطرقية علىٰ الدين. وإن هذا يذكرنا بردة الفعل العنيفة التي مرت بها أوربا إثر الصدام والصرع بين الكنيسة والعلم والعماء حيث أنتج ردة دينية وإلحاد فاشيا لدىٰ القوم.

والفكر الخرافي يدخل فيه كل ما يقرر من معلومات متعلقة بظواهر كونية أو حقائق وجودية وينافي ذلك التقرير الحقائق العلمية اليقينية التي أثبتها العلم بشكل قاطع لا شك فيه، فيأتي الفكر الخرافي فيقرر بلغة الدين والنصوص المقدسة ما يخالف الثابت اليقيني المعلوم بالضرورة لدىٰ إنسان العصر الحاضر فينتج عن ذلك ردة فعل معاكسة لدىٰ الفئات المتعلمة والمثقفة، وهذه البضاعة – للأسف – نجدها مدسوسة حتىٰ في جملة من مصادر الفكر الإسلامية التي تلقىٰ قبولا لدىٰ العامة والخاصة لكنها طافحة رائجة في كتب الطرائقية فضلا عن الحركات والفرق الباطنية المارقة من الدين كالشيعة وأشباههم.

٥-الأحوال الاقتصادية الصعبة التي يمر بها الناس :

إذا كان للمادية المفرطة أثر في ارتكاس الناس إلىٰ هاوية الإلحاد فإن للأحوال الاقتصادية الصعبة التي يمر بها الناس أثرا عظيما في تقبُّل الناس للإلحاد؛ فلما انعدمت في المذهب الرأسمالي

ونظام الإقطاع وسيطرة البابوات والأباطرة صفة الرحمة والعطف علىٰ الفقراء، وازداد الأغنياء غنًىٰ وازداد الفقراء فقرًا وذلًّا استغلَّ الملاحدة تلك الأوضاع للتأثير علىٰ الناس بأن الأمر موكول إلىٰ تصرفات الناس وليس هناك إله مدبر له، فازداد نشاط دعاة الإلحاد وأظهروا أنفسهم بمظهر المنقذ للفقراء، والساهر علىٰ مصالحهم، والمهتم بمشاكلهم، والمتصدي للقضاء علىٰ كل الأنظمة الفاسدة والطبقات المتجبرة.

وإن مرور الإنسان بظروف اقتصادية صعبة وتجرعه مرارة الحاجة والحرمان يودي به – إن لم يعصمه الله – إلىٰ شرور وآثام، وقنوط ويأس فظيع يحمله علىٰ القطيعة بينه وبين خالقه في كثير من الأحيان، ولذلك قرن النبي – صلىٰ الله عليه وسلم – في دعائه واستعاذته بين الكفر والفقر فقال: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر)، وجاء في الأثر (كاد الفقر أن يكون كفرًا، وكاد الحسد أن يسبق القدر).

٦-كثرة الحلف ولغو اليمين:

وذلك أن كثرة لغو اليمين والحلف بالله بمناسبة وغير مناسبة من شأنها أن توهن عرىٰ تعظيم الله في قلب الحالف والسامع كيف وهو لا ينفك أن يجعل الله عرضة ليمينه في كل جليل وحقير، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة].

والمعنىٰ لا تتعرّضوا كثيرا للحلف بالله من أجل إرادة البرّ والتقوىٰ والإصلاح بين الناس، لما في كثرة الحلف بالله من استخفاف واستهانة وتجرؤ علىٰ الله، وعلىٰ المؤمن تعظيم الله تعالىٰ وتوقيره، والابتعاد عن اليمين قدر الإمكان، سواء أكان الحالف صادقا أم كاذبا.

٧-مجالسة الخائضين في آيات الله المستهزئين بدينه:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقد جعل القرآن الكريم الاستهزاء بالله ورسوله كفرا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة]، ويلحق بهذا تلك المدارس والمعاهد ودور العلم التي تتبنىٰ الثقافة الأوروبية من طريق التعليم اللاديني، فإذا تمادت بالناشئ مراحل التعليم في هذه المدارس وهو علىٰ هذه الحالة، شب علىٰ الوحشة من قومه ولغته ودينه وملك الالحاد عليه أمره إلّا من رحم ربك.

فإن رأيتَ شخصًا يصاحب جاحدًا بآيات الله، وأحسست من لحن خطابه أن الصداقة بينهما محكمة، سبق إلىٰ ذهنك أن منشأ هذه الصداقة التشابه في زيغ العقيدة، قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقد يسرت وسائل التواصل الاجتماعي والشبكة العنكبوتية تحقق هذا المعنىٰ (مجالسة الخائضين في آيات الله) في عالم افتراضي، فنجد أن أولىٰ خطوات السير إلىٰ الإلحاد لدىٰ كثير من الشباب تبدأ بتبني تأويلات منحرفة للشريعة وأحكامها وتعاليمها مثل أفكار المدعو (محمد شحرور) وتنتهي باستسهال التمرد علىٰ الدين بل والمروق منه في نهاية المطاف.

٨-عدم تنشئة الجيل علىٰ احترام الدين وحبه من الصغر وعدم ترويضه علىٰ إقامة شعائره:

إن كثيرًا من الآباء يطلقون لأبنائهم الحبل علىٰ الغارب ولا يحوطونهم بالرعاية اللازمة لحماية دينهم وأخلاقهم وقوميتهم، بل يكلونهم إلىٰ عادات فاسدة ومؤثرات ضعيفة لا تقوىٰ علىٰ مقاومة ما يجدّ علىٰ مشاعرهم ويغزو عقولهم كل يوم من مؤثرات قوية جذابة مسلحة بالدليل، فأقلُّ شُبه تَمَسُّ ذهن الناشئ منهم تنحدر به في هاوية الضلال، وفي ذلك يقول النبي صلىٰ الله عليه وسلم فيما يرويه عنه أبوهريرة: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

المبحث الثاني: معالم قرآنية لتعزيز تعظيم الله تعصم من الوقوع في الإلحاد

موقع تعظيم الله من الطرح القرآني:

من منطلق أن كتاب الله الخالد (القرآن الكريم) إنما جاء لينظم علاقة المخلوق بالخالق وعلاقة المخلوق بالمخلوق، وإنما يصلح الثاني بصلاح الأول، من هذا المنطلق فإننا نجد القرآن يؤصِّل ويقعِّد لعلاقة المخلوق بالخالق، ويقررها علىٰ وجوه وأنحاء مختلفة لكننا بالتأمل وإمعان النظر فيها، نجدها لا تخرج عن وجهتين أو مسارين هما :

الوجهة الأولىٰ: تعظيم المخلوق للخالق -سبحانه- وإجلاله وتنزيهه وتمجيده.

الوجهة الثانية: محبة المخلوق للخالق.

ولو قلنا بأن الوجهة الثانية من مقتضىٰ الأولىٰ ومترشحة عنها لم نكن بمجانبين للصواب.

وإذا كانت هذه هي عادة القرآن ومعهوده فإنها حال النبي ﷺ وأصحابه بل هي حال جميع أنبياء والصالحين من أتباعهم، قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان خلفاءُ الرسلِ وأتباعُهم من أمراءِ العدلِ وأتباعِهم وقضاتِهم لا يَدْعُونَ إلىٰ تعظيمِ نفوسِهم البتةَ، بل إلىٰ تعظيمِ اللهِ وحدَه، وإفرادِه بالعبوديةِ والإلهيةِ ».وبما أن القرآن قد جاء مقررا ومعززا هذه العلاقة بين المخلوق والخالق، فإنه من دون ريب قد قرر في مواضع كثيرة ووفق منهجيته الفريدة المتميزة معالم يقتفيها المخلوق ويلتزمها ليتمكن تعظيم الله في قلبه ويملأ عليه كيانه وقلبه، بما يترتب عليه بعد ذلك من عصمته من الإلحاد – والعياذ بالله – وجحود خالقه والتنكر له ولفضله وإحسانه عليه.

يكاد القرآن أن يكون بمجمله كتاب تمجيد وتعظيم وتنزيه للإله الواحد رب العالمين، وإذا كان الله تعالىٰ قد قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[الذاريات]، فإن أجلىٰ مظاهر العبودية لله تعظيمه وإجلاله ممزوجا بمحبته؛ ولذا فإن آيات القرآن تفيض تعظيما لله سبحانه بمقتضىٰ هذا المعنىٰ، وتقرير أن القرآن كذلك لا ينفي عنه أنه كتاب المنهج الإنساني الذي ارتضاه الله للإنسانية في طورها الأخير، لكن حتىٰ والقرآن يقرر هذا المنهج ويفصل الكلام فيه ويتناول أحكامه ومعالمه لضبط الحياة الإنسانية في مختلف مناحيها إلا أنه لا ينفك عن ربط كل ذلك وجعل الالتزام به أثرا لتعظيم الله المستقر في النفس البشرية، فالله يريد لبني الإنسان أن يأخذوا بالمنهج الذي رسم لهم في كتابه ولكنه يريدهم أن يأخذوه بمحض التعبد له سبحانه تعظيما وإجلاله وإقرارا بحقه في الأمر والنهي ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤].

إن القرآن زاخر بتعزيز تعظيم الله في القلوب وهذا من معهوده ومقرراته، فكل ما جاء فيه من تسبيح وتحميد وتمجيد وما ورد من ذكر أسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ، كل ذلك إنما المقصد منه تعظيم الله وتربية تعظيم الله في الأفئدة، وهذا يؤكد لنا أن المدخل لتعظيم الله سبحانه هو معرفته أولا كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩]، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه المنزلةُ -أي منزلةُ تعظيمِ الله عز وجل- تابعةٌ للمعرفةِ، فعلىٰ قدرِ المعرفةِ يكونُ تعظيمُ الربِّ تعالىٰ في القلبِ، وأعرفُ الناسِ به أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَّ اللهُ تعالىٰ من لم يعظِّمْهُ حقَّ عظمَتِهِ، ولا عَرَفَهُ حقَّ معرفتِهِ، ولا وَصَفَهُ حقَّ وصفِهِ، قال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ١٣﴾ [نوح]، بما أنه قد تقرر أن القرآن زاخر بتعظيم الله ناطق به، وإذا صح القول بأن للقرآن جملة مقاصد فإن مجمع هذه المقاصد ومردها إلىٰ تعظيم الله وقدره حق قدره، وفي هذا المبحث سنعرض لجملة من المعالم القرآنية التي من شأنها أن تسهم في تعزيز تعظيم الله وتعصم من الوقوع في الإلحاد:

١-ذكر الله وإدامته يعمق تعظيم الله في النفوس ويعززه :

لذكر الله علىٰ جميع الأحوال أعظم الأثر في القلب وأعمقه حيث يتعاظم الله وجلاله في نفس الذاكر وتتأكد محبته له وقربه منه، ومن وصل لهذه الحال وذاق حلاوتها محال أن ينتكس ويرتكس في وحل العصيان والبعد والحرمان فضلا عن السقوط في لجة الكفر والجحود والإلحاد فالذكر يعصمه من أن ينزلق أو تزل قدمه.

قال تعالىٰ: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت].

ويقول الطاهر بن عاشور عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥﴾ [الأعلىٰ]: «وَتَفْرِيعُ فَصَلَّىٰ عَلَىٰ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ عَلَىٰ كِلَا الْوَجْهَيْنِ لِأَنَّ الذِّكْرَ بِمَعْنَيَيْهِ يَبْعَثُ الذَّاكِرَ عَلَىٰ تَعْظِيمِ اللهِ تَعَالَىٰ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ خُضُوعٌ وَثَنَاءٌ».

٢-تعظيم شعائر الله وحرماته :

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج].

وشعائر الله لا تعظم لذاتها وإنما لأمر الله بتعظيمها، أو لأن في تعظيمها تعظيما الله، والمؤدىٰ والمقصد في كلا الحالين هو تمكين تعظيم الله في القلوب، وتطلب الأسباب الموصلة لذلك.

وإذا كان قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾، قد جاء في سياق آيات الحج وبيان أحكام والتأكيد علىٰ إجلال شأن هذه الشعيرة وتعظيمها تعظيما لله، إذا كان الأمر كذلك فإن الله قد قال في ثنايا آيات أحكام الصوم، قال تعالىٰ: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وتكبير الله فيه معنىٰ التعظيم والتمجيد، فلكأن من حكم الصوم تعظيم الله والتحقق بمهابته بالتزام أمره في الصوم بالإمساك عن المفطرات. وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

٣-لزوم عبادة الله والمداومة عليها:

إن من راضت نفسه علىٰ عبادة الله والتقرب إليه بأنواع القربات يكون في حصن منيع عن الوقوع في الجرائر فضلا عن الانحدار إلىٰ هاوية الإلحاد، فتعصمه عبوديته لربه من ذلك، وهذا المعنىٰ يتحقق بالإكثار وديمومة التعبد لله والتقرب بمختلف القربات، «فَإِنَّهُ تعبدنا بعبادات مَحْضَة ذَوَات فعال وأركان كَالصَّلَاةِ وَالْحج وَغير ذَلِك وكل ركن من أَرْكَانهَا فالمقصود بِهِ تَعْظِيم الله تَعَالَىٰ وخضوع لَهُ بِالظَّاهِرِ وَالْبَاطِن حَتَّىٰ تُؤَدِّي كل جارحة من الْجَوَارِح حظها من تَعْظِيم الله تَعَالَىٰ».

والصلاة التي هي عمود الدين وركنه العظيم كلها تعظيم لله -تعالىٰ- بالأقوال والأفعال والمعاني الباطنة التي يستشعرها المصلي وهو واقف بين يدي ربه، ولأن الصلاة تعظيم لله فقد جاءت تسميتها بالتسبيح في كتاب الله في عدة مواضع، والتسبيح هو التعظيم كما في قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران]، قال الزجاج رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما سمىٰ الصلاة تسبيحًا لأن التسبيح تعظيم الله وتبرئته من السوءِ فالصَّلاة يوحَّد الله فيها ويحمد، ويوصف بكل ما يبرئه من السوءِ فلذلك سُمِّيت الصلاة السَّبحة»، قال تعالىٰ: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح]: «ومعنىٰ يُسبحون الله، أي يُصلُّون له. والتسبيح في اللُّغَةِ تعظِيم الله وتنزيهه عن السوءِ»، ويقول الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالتَّسْبِيحُ قَوْلٌ أَوْ مَجْمُوعُ قَوْلٍ مَعَ عَمَلٍ يَدُلُّ عَلَىٰ تَعْظِيمِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَنْزِيهِهِ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ ذِكْرُ اللهِ تَسْبِيحًا، وَالصَّلَاةُ سُبْحَةً وَيُطْلَقُ التَّسْبِيحُ عَلَىٰ قَوْلِ سُبْحَانَ اللهِ لِأَنَّ ذَلِكَ الْقَوْلَ مِنَ التَّنْزِيه».

وما نريد الخلوص إليه أن لإقامة شعائر الله من صلاة وصيام وحج وزكاة والإتيان بها علىٰ وجهها من تحقق بصحة القصد والنية واستشعار لجلال الله وجماله.. لكل هذا أثرًا عظيمًا في قلوب العباد يجدونه تعظيما ومحبة لبارئهم، وبالمداومة عليها يتمكن تعظيم الله وحبه فيمتلئ القلب بذلك فلا يكون لأحد عظمة وجلال وجمال علىٰ وجه الحقيقة إلا للحق سبحانه.

يقول أبو منصور الماتريدي في تفسير قوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [المدَّثر]: «أي: عظم، وتعظيمه: أن يجيبه فيما دعاه إليه، ويطيعه فيما أمره، وأن يتحمل ما ألزمه عمله، فذلك هو تعظيمه لا أن يقول بلسانه: (يا عظيم) فقط. وجائز أن يكون تأويله: أن عظمه عن المعاني التي قالت فيه الملاحدة من أن لله تعالىٰ ولدا، وأن له شريكا، ونزهه عنها. أو عظم حقه أو شكر نعمه، وهذا كما نقول: إن محبة الله تعالىٰ طاعته وائتمار أوامره؛ فكذلك تعظيم الله تعالىٰ يكون بالمعاني التي ذكرنا، لا أن يكون بالقول خاصة».

٤-إدامة تلاوة كتاب الله بكمال تعظيم وإجلال:

إن إدامة تلاوة كلام الله لمما يثمر التعظيم ويربي مهابة الله في القلب، وحق لقلب يعيش مع القرآن متدبرا متفكرا فيه أن يأخذ جلال الله كل مأخذ فيخر ساجد عابدا مقرا بعظمة الله مقدرا إياه حق قدره، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ۝٦٢﴾ [النجم].

وعن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ۝٣٧﴾ [الطور] كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقرَ الإيمانُ في قلبي.

يقول الرَّازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّهُ تَعَالَىٰ عَظَّمَ حَالَ الْقُرْآنِ بِأَنْ نَسَبَهُ إِلَىٰ أَنَّهُ تنزيل ممن خلق الأرض وخلق السموات علىٰ علوها وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ تَعْظِيمَ الله تَعَالَىٰ يَظْهَرُ بِتَعْظِيمِ خَلْقِهِ وَنِعَمِهِ وَإِنَّمَا عَظَّمَ الْقُرْآنَ تَرْغِيبًا فِي تَدَبُّرِهِ وَالتَّأَمُّلِ فِي مَعَانِيهِ وَحَقَائِقِهِ».

ويدعو ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ التأمل في القرآنِ بهدفِ الوصولِ إلىٰ تعظيمِ اللهِ تعالىٰ ومحبَّتِه وإفرادِه بالعبادةِ والطاعةِ، قالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «تأمل خطابَ القرآنِ تجدْ ملكًا له المُلكُ كلُّه، وله الحمدُ كلُّه، أزِمَّةُ الأمورِ كلُّها بيدِه، ومصدَرُها منه، ومردُّها إليه، لا تَخْفَىٰ عليه خَافِيةٌ في أقطارِ مملكتِهِ، عليمًا بما في نفوسِ عبيدِه، مُطَّلِعًا علىٰ أسرارِهم وعلانِيَتِهم، منفَرِدًا بتدبيرِ المملكةِ، يسمعُ، ويرىٰ، ويعطي،

ويمنعُ، ويثيبُ، ويعاقبُ، ويُكرمُ، ويُهينُ، ويخلقُ، ويرزقُ، ويُميتُ، ويُحيي، ويقدِّرُ، ويقضي، ويدبِّرُ. الأمورُ نازلةٌ من عندِه دقيقُها وجليلُها، وصاعدةٌ إليه لا تَتَحَرَّكُ في ذرَّةٍ إلا بإذْنِه، ولا تسقُطُ ورقةٌ إلا بعلْمِه. فتأملْ كيفَ تجِدُهُ يثني علىٰ نفسِه، ويمجِّدُ نفسَه، ويحمَدُ نفسَهُ، وينصَحُ عبادَه، ويدُلُّهم علىٰ ما فيه سعادَتُهم وفلاحُهم ويرغبُهم فيه، ويحذِّرُهم مما فيه هلاكُهم».

٥-التدرج في تعزيز تعظيم الله في النفوس :

من معالم المنهج القرآني في إصلاحه للفرد والجماعة باطنا وظاهرا التدرج والأخذ بيد الإنسان في مراقي التحقق بمعان العبودية رويدا رويدا، وهذه الخاصية قبل أن تكون معلما قرآنيا في تعزيز القيم وإصلاح الباطن فإنها كذلك متساوقة متناغمة مع طبيعة النفس البشرية. يقول الله تعالىٰ مقررا هذا الأصل التربوي القرآني: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان].

وإن تعظيم الله كأي حقيقة من حقائق العبودية والربانية إنما تغرس في القلوب ثم ترعىٰ وتنمىٰ وتحفظ وتصان حتىٰ تثبت في عمق القلب وسويدائه فيعصم صاحبها من الافتتان والزيغ والسقوط في هاوية الإلحاد.

٦-التفكر في المصنوع يدل علىٰ بعض صفات الصانع:

من القواعد التي يُردّ بها علىٰ الملحدين قاعدة (التفكر في المصنوع يدلّ علىٰ بعض صفات الصانع)؛ لأن كل شيء يُوجد في المصنوع يدلّ علىٰ قدرة أو علم أو خبرة، أو حكمة عند الصانع. ومن هنا نعلم أن التفكر في المخلوق يدلّ علىٰ بعض صفات الخالق.

إذا علم هذا فإنه يقال لمن أنكر وجود الله – تعالىٰ – وربوبيته: تفكر في خلقك ونفسك، وانظر مبدأ خلقك من نطفة، ثم علقه، ثم مُضغة، ثم عظامًا، فكُسيت العظام لحمًا، حتىٰ صرت بشرًا كامل الأعضاء الظاهرة والباطنة، أما يضطرك هذا التفكر والنظر إلىٰ الاعتراف بالرب القادر علىٰ كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء، الحكيم في كل ما خلقه وصنعه وأتقنه؟ فلو اجتمع الخلق كلهم علىٰ النطفة التي جعلها الله مبدأ خلق الإنسان علىٰ أن ينقلوها في تلك الأطوار المتنوعة، أو يحفظوها في ذلك القرار المكين، ويجعلوا لها سمعًا وبصرًا وعقلًا وقوىً باطنة وظاهرة، وينموها هذه التنمية العجيبة، ويركبوها هذا التركيب المنظم، ويرتبوا الأعضاء.

ومما يدخل في هذا معرفةُ بعضِ جوانبِ الإعجازِ العلميِّ في القرآنِ والسنةِ، فلا شكَّ أنْ تأمُّلَ الحقائقِ العلميةِ الموافقةِ للقرآنِ الكريمِ مما يُقَوِّي جانبَ تعظيمِ اللهِ سبحانه وتعالىٰ في النفسِ.

٧-عدم سب آلهة الكفار فيتوصلون بذلك لسب الله؛ حفظا لجلال الله وعظمته:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فإنه إذا تكرر سب الله علىٰ الأسماع -وهو كفر مخرج من الملة- هون علىٰ ضعفاء القلوب والإيمان مفارقة الديانة والانتكاسة إلىٰ الإلحاد فالآذان قد ألفت سماع الكفر والإلحاد فصارت القلوب لا تأنف من ذلك بل علىٰ العكس من ذلك أخذ الطبع من الطبع وهان المروق والإلحاد لكثرة السابين وسماع سبهم أو لكثرة استجلابه ولا حول ولا قوة إلا بالله، يقول السعدي في تفسير قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: «لما كان هذا السب طريقا إلىٰ سب المشركين لرب العالمين، الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب، وآفة، وسب، وقدح -نهىٰ الله عن سب آلهة المشركين، لأنهم يحمون لدينهم، ويتعصبون له .. حتىٰ إنهم، ليسبون الله رب العالمين، الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار، إذا سب المسلمون آلهتهم».

٨-عدم مجالسة الخائضين في آيات الله المستخفين بعظمة الله :

إن مجالسة من ضعف جلال الله في قلبه، وظهر ذلك استهزاء وسخرية بآيات الله وكلماته تورث في القلب مع الدوام استهانة بحق الله وجلال مقامه، ولذلك ورد النهي عن مجالسة من هذا شأنه حفاظا علىٰ جناب تعظيم الله الكريم وصيانة للقلوب من تشرب هذه الأدواء، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام].

٩-محاربة الفكر الخرافي والدعوة لإعمال العقل والتفكير :

إن في محاربة الفكر الخرافي الطرقي سدا لباب الطعن في دين الله وكتابه الذي يتوصل به بعد للطعن في ذات الله ومن ثم التشكيك في وجوده، وفي مقابل يجب تبني دعوة القرآن إلىٰ إعمال العقل والتفكير، ليعظم عند العقلاء قدر الله وإجلاله لما يرونه من عجيب صنعه وبديع فعله في خلقه وتمام إتقانه لمصنوعاته، والآيات القرآنية المقررة لهذا المعلم متكاثرة جدًا، ومن ذلك: تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾ [النحل: ٤٨]، وقال: ﴿۞ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ

لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت: ٩]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾[البقرة: ٢١]، فأثبت الدلالة الضُّرورية من الخلق علىٰ الخالق.

١٠- إحياء الربانية ورفع منسوب الروحانية في القلوب:

يقول مؤلف كتاب (تعظيم الله): «وقد جعلتُ هذا الكتابَ ـ تعظيمُ اللهِ ـ ليترسخَ في الناسِ أنَّ تعظيمَ اللهِ عز وجل هو أعظمُ وسيلةٍ توصلُ إلىٰ سعادةِ الفردِ والأسرةِ والمجتمعِ بل إلىٰ سعادةِ البشريةِ كلِّها خصوصًا في زمنِ العولمةِ وحيث صار العالمُ قريةً واحدةً ضعفَ منه أثر الوسائلِ الخارجيةِ لحمايةِ ووقايةِ المجتمعِ من منعٍ ومراقبةٍ فصار لزامًا الاهتمامُ والتركيزُ التامُّ علىٰ تقويةِ تعظيمِ اللهِ في النفسِ بتقويةِ الوازعِ الدينيِّ ومراقبةِ اللهِ في السرِّ والعلنِ»، ويقول أيضا: «إنَّ المعظمَ للهِ عز وجل متوازنٌ من جميعِ الجوانبِ يحملُ همَّ الآخرةِ ولا ينسىٰ نصيبهُ من الدنيا، معظِّمٌ لأمرِ اللهِ ونهيه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، محققٌ لتوحيدِ اللهِ علىٰ أكملِ وجهٍ سالمٌ من الشركِ بجميعِ صورِهِ، مؤدٍ واجباتِهِ الدينيةِ علىٰ أكملِ وجهٍ، من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وغيرِها من الفرائضِ والواجباتِ. وهو كذلك من أعظمِ الناسِ تأديةً للحقوقِ وأعظمِها: حقُّ الوالدين، والأبناءِ والزوجةِ والأرحامِ والجيرانِ والأصدقاءِ والأطفالِ والفقيرِ وغيرِهم. وكذلك فإنه يجتنبُ المحرماتِ التي نهىٰ اللهُ عنها من مسكراتٍ ومخدراتٍ وانحرافاتٍ جنسيةٍ، واعتداءاتٍ علىٰ الأنفسِ والأموالِ بالسرقةِ والرشوةِ وغيرِها»، وقال أبو القاسم إسماعيلُ الأصبهانيُّ في صفةِ العظمةِ: «العظمةُ صفةٌ من صفاتِ اللهِ، لا يقومُ لها خلقٌ، واللهُ تعالىٰ خلقَ بين الخلقِ عظمةً يعظّمُ بها بعضُهم بعضًا، فمن الناسِ من يعظَّم لمالٍ، ومنهم من يعظَّم لفضلٍ، ومنهم من يعظَّم لعلمٍ، ومنهم من يعظَّم لسلطانٍ، ومنهم من يعظَّم لجاهٍ، وكلُّ واحدٍ من الخلقِ إنما يعظَّمُ لمعنىٰ دونَ معنًىٰ واللهُ عز وجل يعظَّمُ في الأحوالِ كلِّها، فينبغي لمن عَرَفَ حقَّ عظمةِ اللهِ أن لا يتكلمَ بكلمةٍ يكرهُها اللهُ، ولا يرتكبَ معصيةً لا يرضاها اللهُ، إذ هو القائمُ علىٰ كلِّ نفسٍ بما كسبتْ»، يشير بذلك رَحِمَهُ اللهُ إلىٰ أنَّ المعصيةَ تُضْعِفُ من تعظيمِ العبدِ لربِّه، وقد تذهبُ التعظيمَ من قلبِه بالكليةِ.

١١- اعتياد افتتاح الكلام والخطاب دائما بتعظيم الله وتمجيده والثناء عليه:

وهذا ما يعلمنا إياه القرآن الكريم، فما أكثر السور في كتاب الله التي تبدأ بالثناء علىٰ الله -سبحانه- تعظيما لجلاله، وتربية للمهابة في قلوب التالين والسامعين، يقول الواحدي في ابتداء تفسير (سورة الجمعة) وافتتاحها، قال تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾[الجمعة: ١]: «إنما أعيد ذكر التسبيح في هذه السورة لاستفتاح السورة بتعظيم الله

من جهة ما سبح له كما يستفتح بـ (بسم الله الرحمن الرحيم)، وإذا جل المعنىٰ في تعظيم الله حسن الاستفتاح به. والفائدة فيه تعظيم ما ينبغي أن يستفتح به علىٰ جهة التعظيم لله والتيمن بذكره»، وهذا يمكن طرده في كل السور المفتتحة بلفظ التسبيح.

الخاتمة

نتائج البحث وتوصياته

إن الإلحاد يعد ظاهرة قد فشت في كثير من مجتمعات المسلمين وتستوجب من ذوي الشأن دراستها ووضع الخطط والبرامج والآليات لمعالجتها والحد منها.

١- إن من أهم أسباب استشراء ظاهرة الإلحاد في الأوساط المسلمة ضعف وتلاشي معاني الربانية وحقائقها، وأول هذه الحقائق (تعظيم الله) الذي يوم أن تضاءل في نفوس الكثير من أجيال المسلمين سهل لهم وسول الوقوع في هاوية الإلحاد.

٢- لحالة الانبهار بالحياة الغربية وصبغتها المادية ولانخفاض منسوب الروحانية وتفشي الفكر الخرافي والأحوال الاقتصادية الصعبة التي تعيشها المجتمعات المسلمة أثر كبير في إضعاف تعظيم الله في القلوب وتقبلها لداعي الإلحاد والمروق من الدين.

٣- مما يهون علىٰ المرء أن يقع فريسة لداعي الإلحاد مجالسته للخائضين والمشككين في حقائق الدين وثوابته ومصادره، وعدم تنشئة الأجيال المسلمة علىٰ احترام الدين وحبه منذ الصغر.

٤- مما يعزز تعظيم الله في القلوب ويكون عاصما لها من الإلحاد: دوام ذكر الله، وتعظيم شعائره وحرماته، ولزوم عبادته، ومداومة تلاوة كتاب الله بكمال تعظيم وإجلال، وإحياء الربانية ورفع منسوب الروحانية في القلوب، ومحاربة الفكر الخرافي الذي يسيء للإسلام بشكل غير مباشر، مع التأكيد علىٰ الأخذ بالتدرج في غرس وتعميق تعظيم الله في القلوب.

المصادر والمراجع

١- الإعلام بما في دين النصارىٰ من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفىٰ: ٦٧١هـ)، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي – القاهرة.

٢- التحرير والتنوير «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفىٰ: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

٣- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ، سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٤- تعظيم الله جل جلاله، أحمد بن عثمان المزيد، مدار الوطن للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.

٥- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفىٰ: ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٣٠ هـ.

٦- تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفىٰ: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة الأولىٰ، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٧- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفىٰ: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٨- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

٩- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م.
١٠- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر.
١١- الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة ١٣- المملكة العربية السعوديةالطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م .
١٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه محمد بن إسماعيل البخاري = صحيح البخاري، تحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأوليالرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٣- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي
١٤- دار الراية - السعودية / الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٥- دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَليد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
١٦- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع.
١٧- السلسلة الضعيفة والموضوعة: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار المعارف، الرياض - الممكلة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

١٨- شرح الصدور في تحريم رفع القبور، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤هـ، سفير، الرياض، المملكة العربية السعودية.

١٩- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرىٰ اليمني (المتوفىٰ: ٥٧٣هـ)، تحقيق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٢٠- الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢١- الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

٢٢- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادىٰ (المتوفىٰ: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفىٰ: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

٢٤- كيفية دعوة الملحدين إلىٰ الله تعالىٰ في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

٢٥- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفىٰ: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

٢٦- مجلة المنار، مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ).
٢٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
٢٨- المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية-جدة، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٢٩- مذكرة على العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، مدار الوطن للنشر – الرياض، ١٤٢٦ هـ.
٣٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى.
٣١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.
٣٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٣٣- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
٣٤- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.
٣٥- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي.

٣٦- موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (المتوفى: ١٣٧٧ هـ) جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سوريا الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ.

٣٧- موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية.